



تمثل الجيوش في وضعها الطبيعي حصنا للأمة ودرعا لمواجهة المخاطر والتحديات، وبذلك تكتسب أهمية بالغة في الوجدان الشعبي، بوصفها أداة عزة، ووسيلة لحفظ البيضة وصيانة الكرامة.

وتحتفي الأمم والشعوب بالجيوش التي ترتكز عقيدتها العسكرية على قيم الشجاعة والنجدة والعزة والتضحية بالغالي والنفيس من أجل الوطن والمواطن، وجيوش من هذا الطراز تستحق كل ما يبذل من أجل الرفع من معنوياتها، وتمكينها من كل مقومات التفوق والانتصار، حتى تؤدي المهمة النبيلة المنوطة بها على أكمل وجه.

ولكن حين تحرف عن ذلك المسار تفتقد كل مسوغ لوجودها، وتصبح عبئاً مرهقاً وكلاً ثقيلاً، وضمن هذا الفريق "العبء والكل" تصنف أغلب الجيوش العربية، فلا حصر لما سببته هذه الجيوش بـ"عقائدها وجنرالاتها ومشيريها" للشعوب العربية من معاناة وألم.

ولا يعلم إلا الله وحده كم أيمت من أرامل، ويتمنى من أبناء، وفجعت من ثكالي، تلك حقيقة مزعجة، وواقع مرير اكتوت به أغلب الشعوب العربية.

وانطلاقاً من ذلك، يكون من الوارد أن نطالب بحل هذه الجيوش، ونكتفي بقوات شرطة تسهر على الأمن والسكينة، والمطلب موضوعي ووارد، وقد تبنته دول عديدة، فكان حل الجيوش لها عامل سكينة واستقرار وتنمية ناجحة، فكواستاريكا دستورها

يمنع إنشاء جيش، والدومنيكان حلت جيشهما عام 1981 بعد أن قام بمحاولة انقلابية، وهaiti حلت جيشهما عام 1995، وحلت بينما جيشهما عام 1990، وعاشت هذه الدول في ظلام تام وأمن مجتمعي، والمبالغ الباهظة التي كانت تصرف لشراء الأسلحة وألات القمع والعسف، تم صرفها لتنمية الإنسان ومكافحة الفقر والتهميش ورفع المعاناة عن الملهوفين والمحتاجين.

وحيث نستعرض جوانب من سلوكيات وممارسات بعض الجيوش العربية سنصل إلى نتيجة مؤداها أن حلها يعتبر عملاً وطنياً ملخصاً، وسلوكاً حضارياً راقياً.

ومما يبرهن على أن ما يصرف على الجيوش العربية من مبالغ هائلة هو خسارة بكل المعايير:

1- أنها منذ أربعين سنة لم تحقق أي انتصار، وقضية العرب التي كانوا يصنفونها على أنها قضيتهم الأولى خسروها بدرجة لم يكن يطمح إليها الخصم، وبقيت إسرائيل متقدمة علمياً وعسكرياً واقتصادياً رغم ما تعانيه من شح في الموارد الطبيعية، ومع وجودها في منطقة حبلى بالمفاجآت، وبقي العرب بجيوشهم القمعية في مؤخرة الركب كما يريد لهم "انقلابيهم" الطغاة المستبدون.

2- أن العرب رغم إنفاقهم العسكري الهائل، لم يحققوا من القوة ما يناسب إنفاقهم على برامج التسلح، وبينما ترتفع الأمم المجاورة كالفرس والترك إلى مصاف الدول المتقدمة يتراجع العرب إلى الخلف، وتترفع معدلات الجهل والأمية، وتتفشى الأمراض، ويستشرى واقع التضعضع والتفكك، وضياع القرار السياسي.

ومن مظاهر الانهيار المعنوي في العالم العربي أن العربي لا يستأسد إلا على شقيقه، فحين تحدث مشادة أو اختلاف في فهم بسيط مع بعض الأشقاء نرى القوي منهم يستحضر كل عوامل قوته وإمكاناته العسكرية والاقتصادية، ولكن حينما يكون الخلاف مع خصم قد تغير المعادلة ويختلف السلوك فلا مجال هنا للتباكي أو الاستعراض.

3- أن الجيوش العربية -في الغالب- أصبحت أكبر عائق في طريق نشر قيم الديمقراطية والحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية.

وباستعراضنا سلوكيات بعض الجيوش العربية يتجلّى لنا حجم الأضرار التي أحقها العسكر بالشعوب، وحجم الجرائم التي ارتكبوها والعسف الذي مارسوه، وتناول باقتضاب سلوك خمسة من الجيوش العربية "الباسلة": ثلاثة من المشرق العربي وأثنان من المغرب العربي:

● **الجيش السوري:** وهو إلى جانب ما مارس من عسف وظلم ومصادرة للحريات، ارتكب أيام الرئيس حافظ الأسد مجردة فظيعة راح ضحيتها عشرات الآلاف من المواطنين السوريين في مدينة حماه في الثاني من فبراير/شباط عام 1982.

وكان قائد تلك الحملة العسكرية العقيد رفت الأسد شقيق الرئيس حافظ الأسد، ولا يماري أحد في ما يمارسه بشار الأسد من فظائع وقصف بالسلاح الكيميائي، وبالبراميل المتفجرة هذه الأيام ضد مواطنه الطامحين إلى حياة العزة والكرامة.

● **الجيش العراقي:** مارس فظائع خطيرة ضد الأكراد، وضد كل معارضي النظام، والآن ينخرط هذا الجيش في حرب طائفية وغير أخلاقية تستهدف المكون العربي السنّي خصوصاً، وقد ارتكب فظائع خطيرة ضد المواطنين العراقيين، وأثناء كتابة هذه الأسطر يمارس قصفاً عشوائياً متوجهاً في الرمادي والفلوجة والأربار، مخلفاً أعداداً كبيرة من اللاجئين والنازحين الذين يعيشون ظروفاً إنسانية حرجة.

● **الجيش المصري:** ظلت العقيدة الراسخة للقوات العسكرية وشبه العسكرية في مصر تؤسس على معطى ثابت هو أنها في خدمة الحاكم وليس الشعب، وحينما يخرج الشعب عن إرادة الحاكم يكون مصيره القمع المت渥ش والقتل العشوائي بلا رحمة ولا رأفة.

ويعرف الجميع قصة "زوار الفجر" وسلوكهم الدامي، وقمعهم المتعسف، الذي عانت منه القوى السياسية أثناء حكم الضباط الأحرار، مما دفع الكاتب محمد حسنين هيكل إلى انتقاد سلوكهم، بالرغم من ولائه المطلق للرئيس جمال عبد الناصر ولحكم الضباط الأحرار.

ونلاحظ المجازر المتواحشة التي أقدم عليها الجيش المصري في مرحلة ما بعد انقلاب الثالث من يوليو/تموز 2013 بحق المتظاهرين المسلمين في ميداني رابعة والنهضة وغيرهما، وما يمارسه من قمع، ومصادرة الحرريات، وسجن تعسفي، وتحطيم منظومة القضاء من خلال إبعاد الشرفاء عن منصات الحكم وكراسي القرار، كل هذا يشي بأن وجود مثل هذا الجيش يمثل تهديداً لقيم الحرية والكرامة والديمقراطية والعدالة.

- **الجيش الجزائري:** كانت "العشيرة السوداء" في الجزائر دموية ومرعية، فقد اندلعت فيها الصراعات المسلحة بعد انقلاب الجيش على إرادة الشعب، مما أسف عن مجازر مروعة، وأحداث أليمة بين العسكر الذين يرفضون تسليم الحكم للمنتخبين من جهة، وبين الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنتصرة في الانتخابات، وما انبثق عنها من حركات وجماعات من جهة أخرى.
- **الجيش الليبي (الكتائب):** ظل هذا الجيش الذراع الضاربة للعقيد معن القذافي، يستخدمه متى شاء وكيف شاء، للتكميل بخصوصه ومعارضي نظامه.

ومن المجازر التي ارتكبها هذا الجيش: مجزرة سجن أبو سليم التي كانت من أخطر الفظائع، وقد نفذها يوم 29 يونيو/حزيران 1996، وفور اندلاع الثورة الشعبية ضد حكمه جابها بجيشه وكتائبه مواجهة شرسه، مما ألب عليه الرأي العام الدولي المتربيص به أصلاً، بسبب سلوكه المتسنم بالغرابة والتهور.

ولديّ يقين راسخ بأن جيش موريتانيا "البطل" ومحاوريه "الأشداء" بشكله الحالي، وبالنظر إلى كونه أكثر الجيوش في العالم العربي انقلاباً، وأكثرها انغماضاً في حمأة السياسة، لو جاءت سلطة وطنية مخلصة وحلته فسيكون ذلك أكبر إنجاز تصيفه إلى رصيدها.

وهذا التحدي الذي يمثله العسكر في العالم العربي يفرض على الشعوب أن تناضل و تستمدّ لتحقيق واحد من هدفين:

1- **الهدف الأول:** حل هذه الجيوش بالنضال المسؤول والعمل السياسي الحصيف، حتى تتمكن الشعوب من استعادة حريتها وكرامتها وحقوقها المغتصبة من طرف عسكريين لا تسعفهم الخبرة، ولا عمق التجربة، ولا رصيد الإنجازات، بل ينحصر اهتمامهم في هوية ممارسة السلطة والنهاي الممنهج لثروات الشعوب.

والسلوك الأسوأ الذي يمارسه العسكر هو تدمير المنظومة القيمية التي تؤطر السلوك والممارسة، وتشكل الوعي الجماعي، مما يرسخ النفاق السياسي ويجعله سلوكاً مقبولاً، بل مرغوباً، قبل فيه تسمية كل شيء بضده: فالانقلاب ثورة، والسفاح بطل، والخائن مخلص بل "رسول من رسول الله"، ولا تقتصر أخطار الأحكام العسكرية على ذلك.

2- **الهدف الثاني:** إعادة بناء هذه الجيوش على قيم الجمهورية واحترام الحقوق المدنية، وعلى أن مهمتها حماية الشعوب وليس قهرها، والدفاع عنها وليس الهجوم عليها، وأنها لخدمة المواطن، وليس أداؤها يملكتها قائد متهرّ أو ضابط مأفون.

وخلاصة القول:

إن أغلب الجيوش العربية - بوضعها الحالي - لم تجلب للأمة إلا الهزائم أو العسف والاستبداد، وبالتالي فإنها تمثل عائقاً خطيراً أمام طموح وتطلعات الشعوب للحرية والعدالة والديمقراطية، كما أن فشلها في ممارسة الحكم لا تقل فظاعته عن فظاعة فشلها في المجال العسكري الذي يفترض أن تقتصر عليه، وضاعف من آثار فشلها ما مارسته من عسف وظلم بحق الشعوب، وما واكب ذلك من نهب للثروات واستغلال للنفوذ.

ويبقى السؤال المطروح:

هل تدرك النخب العسكرية في العالم العربي أن سلوكها لم يعد يتناسب مع واقع القرن الـ21، ومع مستوى الوعي الوطني

للشعوب، وواقع الفضاء الكوني الذي تتفاعل معه تأثراً وتتأثراً، أم أن هذه النخب ستبقي سادرة في غيها، ماضية في انحرافها رغم ما يستدعيه ذلك من ثمن ياهظ من دماء وأعراض وأموال الناس، وأقول في الختام للنخب العسكرية في عالمنا العربي:
(أليس منكم رجل رشيد) (سورة هود الآية 78).

الجزيرة

المصادر: